مجلـــــة العلـــــوم التربـــــوية والدراســـــات الإنســـــانيــــة
ISSN: 2709-0302 (online)

Humanities and Educational Sciences Journal
ISSN: 2617-5908 (print)

المسائل العقدية المتعلقة بالأوبئة (كوفيد-١٩) نموذجا(*)

د/ عزيزة علي الأشول
أستاذ مشارك بقسم الدراسات الاسلامية
الكلية الجامعية بالقنفذة المملكة العربية السعودية
aaaamri@uqu.edu.sa

*) تاريخ تسليم البحث 15/3/2022 تاريخ قبوله للنشر 17/4/2022
*) موقع المجلة: http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index

المسائل العقدية المتعلقة بالأوبئة (كوفيد-١٩) نموذجا

د/ عزيزة علي الأشول
أستاذ مشارك بقسم الدراسات الاسلامية
الكلية الجامعية بالقنفذة المملكة العربية السعودية

ملخص البحث:

الأوبئة من النوازل الكبيرة التي تنزل بالشعوب والأمم، لها تأثير كبير على حاضرها ومستقبلها، ولذلك لا تدخر الأمم جهدا في البحث عن حل للمشاكل المترتبة علي هذه النوازل والأوبئة، فتبحث كل أمة في تراثها العقدي والفكري علها تجد ما تحل به الحاضر من مشاكلها، والأمة الإسلامية لا بد سائرة وفق هذه القاعدة المضطردة؛ فتبحث عن حل للمشاكل المترتبة على الأوبئة وغيرها من النوازل في تراثها العقدي والفكري، فتعرض ما يعترض طريقها من عقبات وما يعطل مسيرتها من أوبئة ومشكلات على ميزان العقيدة الإسلامية، فتطرأ بعض المسائل من هذا العرض، فجاء هذا البحث ليناقش بعض تلك المسائل؛ ومنها: (علاقة العقيدة الإسلامية بالأوبئة–فهم الابتلاء بكورونا في ضوء القدر والحكمة الإلهية–مناقشة بعض المفاهيم المغلوطة حول الابتلاء بكورونا–تقديم حلول عملية لمعالجة ما ترتب على كورونا من آثار في ضوء العقيدة الإسلامية)، باستخدام المنهج التحليلي بخطواته المعروفة.

كلمات مفتاحية: الأوبئة–كورونا كوفيد (١٩)–القدر والحكمة الإلهية–الولاء والبراء–مواجهة كورونا من وجهة نظر عقدية.

Epidemiological nodal issues (Covid-19) as a model

Dr. Aziza Ali Alashwl

Employer:University College in Qunfudah
Scientific rank :Assistant Professor
Department \ Islamic studies

Research Summary:

the great calamities that befall peoples and nations, and have a great impact on their present and future, and therefore nations do not spare any effort in searching for a solution to the problems arising from these calamities and epidemics. According to this constant rule; It searches for a solution to the problems arising from epidemics and other calamities in its doctrinal and intellectual heritage, so it presents the obstacles that stand in its way and what hinders its path of epidemics and problems on the scales of the Islamic faith, so some issues arise from this presentation This research came to discuss some of these issues; Including: (the relationship of the Islamic faith with epidemics-understanding the affliction with Corona in the light of fate and divine wisdom-discussing some misconceptions about the affliction with corona-providing practical solutions to treat the effects of Corona in the light of the Islamic faith), using the analytical method with its well-known steps.

Keywords: Epidemics-Corona Covid (19)-divine destiny and wisdom-loyalty and innocence-facing corona from a doctrinal point of view.

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله – صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين بإحسان إلى يوم الدين وبعد،،،

فالابتلاء سنة من سنن الله – تعالى– في الكون والحياة، وتتعدد صور الابتلاء بين الابتلاء بالنعم والابتلاء بالنقم والمحن، قال – تعالى-: {وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} [الأنبياء ٣٥]، والواجب على العباد في كلا الحالين الصبر والشكر لله – تعالى –، والتسليم له في أمره وحكمه وقضائه.

بيد أن طبيعة الإنسان وأصل فطرته، تدفعه للسؤال عن الحكمة من هذا الابتلاء بالمنع أو العطاء، وهذا ما يقود الإنسان إلى تلمس الإجابة عن هذه التساؤلات، وإرضاء نزوعه الفطري إلى معرفة حقائق الأشياء، فيعرض ما يجول في نفسه على عقيدته – إن كان صاحب عقيدة – أو على كره وتجاربه وتاريخه – إن لم يكن صاحب عقيدة-.

والإنسان المسلم لا يشذ عن تلك الفطرة الإنسانية، بل شجعه الإسلام على لبحث والتنقيب عن حقائق الأشياء وفق المتاح من التصورات والاعتقادات، ومن هنا تطرأ كثير من المسائل حول الابتلاء وحقيقته، وعلاقته بالمعتقدات الإسلامية الكبري مثل: (القدر والحكمة الإلهية)، فصاحب العقيدة القوية السوية يسلم لله – تعالى – فيما قضي وقدر، ويوقن أن أفعال الله – تعالى – لا تخلو عن حكمة، أما من ضعُف يقينه فتنشأ في قلبه وساوس لا تحصي تدور جلها حول: (خلو هذا الابتلاء عن الحكمة والمنفعة للإنسان؛ ومن ثم فهو شر محض، وكذلك تصور مشوش عن حقيقة الفعل الإنساني في مقابلة قدرة الله- تعالى-؛ إما بمحوه فينشأ الجبر والتشاؤم الذي يودي بالإنسان، وإما بتضخيمه فتضعف العقيدة في قدرة الله- تعالى-، ويصبح الغرور الإنساني هو المسيطر علي مسيرة الإنسانية).

ومن النوازل الكبرى التي حلت بالإنسانية مؤخرا؛ جائحة "كورونا" أو (كوفيد-١٩)، والتي وقعت بسببها بعض المفاهيم المغلوطة حول حكمة الابتلاء وعلاقة ذلك بمسائل القدر والحكمة والتعليل، فجاء هذا البحث ليلقي الضوء هول هذه المفاهيم، إذ من الواجب علينا استخلاص بعض المفاهيم والحلول المستمدة من العقيدة الإسلامية الصحيحة من أجل ترشيد المسيرة الإنسانية ولم شعثها، وربط المسلمين بعقيدتهم وتقوية صلتهم بالله – تعالى-، في مواجهة وباء كورونا وغيره من الأوبئة والنوازل، التي تعيق المسيرة الحضارية الراشدة للأمة الإسلامية، فلا صلاح للأمة إلا إذا استمدت تصوراتها وأفكارها عن الحاضر والمستقبل من العقيدة الإسلامية الصحيحة، ودعمت بنيانها الاجتماعي بقواعد من أخلاق الإسلام الراقية، وهذا ما سأحاول القيام به في هذا البحث ، وأرجو من الله المعونة والقبول.

أهمية البحث:

تأتي أهمية البحث من كونه يناقش نازلة مستجدة، ويربط بينها وبين ما قرره العلماء من مسائل الاعتقاد المتعلقة بها.

مشكلة البحث:

تتلخص مشكلة البحث في الإجابة عن أبرز التساؤلات العقدية التي ظهرت في نازلة فيروس (كوفيد-١٩) من خلال ما قرره العلماء في أبواب الاعتقاد.

أهداف البحث:

١- بيان النظرة الإسلامية للأوبئة من الناحية العقدية.

٢- توضيح محاسن العقيدة الإسلامية في التعامل مع الأوبئة.

٣- الإجابة عن أبرز الإشكالات العقدية التي أثيرت بسبب ما يظنه بعض الناس من تعارض في النصوص الشرعية.

الدراسات السابقة:

لم تقف الباحثة على دراسة تختص بالمسائل العقدية المتعلقة بالأوبئة، لكن وجد كتابات تتكلم عن الأحكام الشرعية المتعلقة بالأوبئة عموما وكذلك الأمراض المعدية ومن ضمنها الإشارة إلى بعض المسائل العقدية، مثل:

- أحكام الأمراض المعدية في الفقه الإسلامي-عبد الإله بن سعود بن ناصر السيف، رسالة ماجستير، جامعة الإمام مُحَّد بن سعود الإسلامية.

- الأحكام الفقهية المتعلقة بالأوبئة التي تصيب البشرية جمعا ودراسة ومقارنة، مُحَّد بن سند الشاماني، مقال منشور في مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية، السنة السابعة، العدد ١٨، ١٤٤٠هـ.

كذلك هناك بعض الكتابات غير المحكمة حول موضوع المسائل الشرعية المتعلقة بوباء (كوفيد-١٩) مثل:

- الأحكام الشرعية المتعلقة بفيروس كورونا، أكرم كساب.

- القول السديد في أحكام الوباء الجديد (كورونا)، إبراهيم الرحيلي.

- الأحكام الفقهية المتعلقة بوباء كورونا، خالد المصلح.

- الأحكام الشرعية المتعلقة بالوباء والطاعون، هيثم بن قاسم الحمري.

وهي كتابات منشورة على الشبكة العنكبوتية، ويغلب عليها الاهتمام بالجانب الفقهي.

والإضافة التي تضمنها هذا البحث:

١- جمع أهم المسائل العقدية المتعلقة بالأوبئة في دراسة واحدة.

٢- تنزيل هذه المسائل على النازلة المستجدة (كوفيد – ١٩) بناء على توصيفها الطبي من كونها وباء وجائحة.

٣- الإجابة عن أهم الأسئلة العقدية المتعلقة بهذا الوباء والتي أثيرت خلال الفترة الماضية، وتوضيح بعض الإشكالات والشبهات التي أثيرت حول العقيدة الإسلامية انطلاقا من جائحة كورونا.

تقسيم البحث:

المقدمة:

التمهيد وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: التعريف بالأوبئة.

المسألة الثانية: التعريف بكوفيد-١٩.

المبحث الأول: التعاطي مع جائحة (كوفيد – ١٩) في ضوء القدر والحكمة الإلهيين:

وفيه عدة مطالب:

المطلب الأول: صلة العقيدة الإسلامية بالأمراض والأوبئة.

المطلب الثاني: كوفيد – ١٩ وقضية القدر الإلهي.
المطلب الثالث: كوفيد – ١٩ والحكمة الإلهية.
المطلب الرابع: كوفيد – ١٩ وقانون السببية.

المبحث الثاني: النظرة العقدية لجائحة (كوفيد – ١٩) والمفاهيم المغلوطة حوله:

وفيه عدة مطالب:
المطلب الأول: كوفيد – ١٩ ومعضلة الشر.
المطلب الثاني: كوفيد – ١٩ وتضخيم الدور الإنساني في مواجهة القدرة الإلهية.
المطلب الثالث: كوفيد – ١٩ وعقيدة الولاء والبراء.
المطلب الرابع: تحقيق التوحيد وأثره في مواجهة الجائحة.
المطلب الخامس: توضيح العلاقة بين الأسباب والمسببات.
المطلب السادس: نشر مفهوم الصبر والاحتساب وأثره الإيجابي في مواجهة الجائحة.
المطلب السابع: تحقيق الأخوة الإسلامية والإنسانية وأثره الفعال في تنمية التعاون والتكافل في مواجهة الجائحة.

الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات.

التمهيد

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: التعريف بالأوبئة:

جمع وباء، مثل: أمتعة جمع متاع، وهو كل مرض عام[(١)]، وعرفه بعض الفقهاء بقوله: "هو مرض الكثير من الناس في جهة من الأرض دون سائر الجهات، ويكون مخالفا للمعتاد من الأمراض في الكثرة وغيرها ويكون نوعا واحدا"[(٢)].

وكلمة الأوبئة لم يستعملها الشرع الشريف–فيما وقفت عليه الباحثة–، وإنما وقع استعمال مطلق الابتلاء بالمرض، ووقع أيضا النص علي بعض الأمراض خصوصا، ومن الأمراض التي تقترب في خصائصها من مدلول كلمة الأوبئة (الطاعون)، وهو في اللغة: على وزن فاعول، مأخوذ من الطعن، يقال: طُعِن فهو طعين، ومطعون إذا أصابه الطاعون، وهو المرض العام والوباء الذي يفسد له الهواء فتفسد به الأمزجة والأبدان[(٢)]، وسمي بذلك؛ لعموم مصابه وسرعة قتله[(٣)].

وقد اختلف العلماء هل الوباء هو الطاعون أم بينهما فرق؟ وخلافهم هذا على قولين[(٤)]:

(١) مُحَمَّد بن مكرم الأنصاري الإفريقي ابن منظور، "لسان العرب"، (ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ)، ١: ١٨٩–١٩٠).
(٢) مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية "زاد المعاد في هدي خير العباد"، (ط٢٧، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٥هـ–١٩٩٤م)، ٤:٣٥
(٣) أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، "فتح الباري شرح صحيح البخاري"، تصحيح محب الدين الخطيب، وعليه تعليقات العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (ط بيروت: دار المعرفة –، ١٣٧٩هـ)، ١:١٨٠.
(٤) ينظر للقولين: عياض اليحصبي، "إكمال المعلم بفوائد مسلم"، تحقيق: يحيى إسماعيل، (ط١، مصر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م)، ٧:١٣٢

القول الأول: كل وباء طاعون، القول الثاني: بينهما فرق، فالوباء هو المرض العام سواء كان طاعونا أم غيره، وهذا الذي عليه الأكثر، وقالوا: "وكل طاعون وباء وليس كل وباء طاعونا"(١)، ولكن قد يطلق الطاعون على الوباء مجازا.

والتحقيق في ذلك أن الوباء أعم من الطاعون فالوباء هو المرض العام، والطاعون نوع خاص من الوباء، يقول ابن القيم:" والتحقيق أن بين الوباء والطاعون عموما وخصوصا؛ فكل طاعون وباء، وليس كل وباء طاعونان وكذلك الأمراض العامة أعم من الطاعون؛ فإنه واحد منها..."(٢).

ويتفرع عن ذلك سؤال مهم: هل يأخذ وباء مثل (كوفيد-١٩) أحكام الطاعون، ونسقط عليه ما جاء في الطاعون من آثار وأخبار أم لا؟، وقد أجاب عن ذلك أحد الباحثين المعاصرين فقال: "إنهما يتفقان في بعض الأحكام التي ندرك عللها الظاهرة من أخذ الاحتياطات والحجر الصحي وغيرها من الأوامر النبوية اليت تقي من الأمراض، ويختلفان في الأحكام التي لا ندرك عللها نحو الميت بالطاعون شهيد وأنه – أي الطاعون – من وزخز الجن وغيرها مما نص فيه على لطاعون ولا يمكن تعديته إلى غيره مما يماثله من الأسقام ...."(٣).

المسألة الثانية: التعريف بفيروس (كوفيد – ١٩):

للتعريف بالأمراض أهمية خاصة؛ حيث إنها تمنح البشرية طمأنينة وأملاً في السيطرة على لأمراض بعد الوصول إلى صائصها وما يميزها عن غيرها(٤).

وينبغي قبل التعريف (بكوفيد – ١٩) أن نلمح إلى تعريف الفيروسات عموما حتى نكون على بينة بطبيعة هذه المخلوقات وعجيب صنع الله – تعالى – فيها، "فكل فيروس عبارة عن (مضمومة) كيميائية مكونة من تعليمات وأوامر جينية، محاطة برداء بروتيني، ولكي يتكاثر (يعيد إنتاج نفسه)، يهاجم الفيروس ويختطف خلية حية ثم يجبرها على صنع العديد من الفيروسات الجديدة التي تندفع خارجة من الخلية المضيفة، وغالبا ما تخربها أو تقتلها قبل مهاجمة خلية أخرى"(٥).

ينتمي فيروس (كوفيد ١٩) إلى فصيلة فيروسات كورونا التاجية، وهي مجموعةٌ من الفيروسات تسبب في البشر عدوَى في الجهاز التنفسي، وعادةً ما تكون طفيفةً، ونادرًا ما تكون قاتلةً، وقد اكتُشِفت فيروسات كورونا في ستينيات القرن العشرين، ومنذ ذلك الحين تم تحديد الكثير من عناصر هذه العائلة، وآخرها فيروس كورونا الجديد CoV-2019، ففي ٣١ ديسمبر ٢٠١٩م تم إبلاغ المكتب الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية في الصين بحالات الالتهاب الرئوي المسبب لمرض غير معروف تم اكتشافه في مدينة ووهان بمقاطعة

(١) أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي النووي: "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج"، (ط٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ)، ١٤:٢٠٣

(2) ابن القيم، "زاد المعاد" (٤: ٣٥)

(3) أشرف السيوطي خليفة، "الأحكام الفقهية المتعلقة بفيروس كرونا-دراسة في النوازل"، ط١، المنصورة – مصر: دار اللؤلؤة ٢٠٢١م، ٢٣-٢٤.

(٤) بوك سلاك، "الطاعون مقدمة قصيرة جدا"، ترجمة محمد زياد كبة، مراجعة خالد المصري، (ط١: أبو ظبي، دائرة الثقافة والسياحة مشروع كلمة)، ١٥.

(٥) ريتشارد ووكر، "الأوبئة والطاعون"، (ط١ بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠٠٧م)، ص١١؛ د.ف. م بريت، "رحلة الإنسان مع الفيروس فصول من المعرفة"، ترجمة سعد الدين عبد الغفار، تقديم أشرف مختار، (ط١ القاهرة: وكالة الصحافة العربية، ٢٠١٩م)، ص١٥

هوبي الصينية، وتم إعلان فيروس (كورونا الجديد) على أنه الفيروس المسبب لتلك الحالات من قِبَل السلطات الصينية يوم ٧ يناير ٢٠٢٠م، وقد تحوّل كوفيد-١٩ بعدها إلى جائحة أثرت على معظم بلدان العالم.

أعراضه:

تتمثل الأعراض الأكثر شيوعاً لمرض كوفيد – ١٩ في الحمى والسعال الجاف والتعب، وقد يعاني بعض المرضى من الآلام والأوجاع، أو احتقان الأنف، أو ألم الحلق، أو الإسهال، وعادة ما تكون هذه الأعراض خفيفة، وتشتد حدة المرض لدى شخص واحد تقريباً من كل ٥ أشخاص يصابون بعدوى (كوفيد – ١٩) حيث يعانون من صعوبة في التنفس، وترتفع مخاطر الإصابة بمضاعفات وخيمة بين كبار السن، والأشخاص الذين يعانون مشاكل طبية أصلاً، مثل ارتفاع ضغط الدم أو أمراض القلب والرئتين.

انتقال العدوى:

تنتقل العدوي من المصابين إلي الأصحاء من خلال الرذاذ الخارج من المريض عند العطس أو السعال مباشرة، أو عند ملامسة الأسطح الملوثة بهذا الرذاذ[١].

والخلاصة: أن هذا الفيروس المستجد هو أحد مسببات الأمراض سريعة الانتشار، مما جعله يتحول إلى وباء ثم إلى جائحة، ويتسبب بأعراض تتفاوت من كونها خفيفة إلى متوسطة حتى يصل إلى حد الوفاة، فهو بهذا قد جمع بين درجات المرض من حيث الانتشار ومن حيث الفتك والتأثير، وقد تم العثور مؤخرا على بعض اللقاحات لهذا الفيروس، كلقاح "فيزر" وإخوته، إضافة إلى التدابير الوقائية الاحترازية في مواجهته.

المبحث الأول

التعاطي مع جائحة (كوفيد – ١٩) في ضوء القدر والحكمة الإلهيين

من المسلمات العقدية في الإسلام أنّ كل شيء بقضاء الله – تعالى – وقدره، فالأمراض قدر غير ملائم، فيه ضرر الإنسان وتمحيصه عن طريق شدة الألم وفجاعة الفقد؛ غير أن هذا القدر والقضاء لا يعني اليأس من روح الله – تعالى –؛ فالإنسان مأمور بالعمل على تلاشي أسباب المرض والسعي في التداوي منه، ولا يخلو المرض من فوائد، فالشر المحض لا وجود له في الكون والحياة، فقدر الله كله حكم ومنافع، وهذا ما سنتبينه من خلال ما يلي من مطالب:

المطلب الأول: صلة العقيدة الإسلامية بالأمراض والأوبئة:

للعقيدة الإسلامية صلة وثيقة بالتعاطي مع الأمراض والأوبئة ويمكن بيان هذه الصلة فيما يلي:

١- **توفر العقيدة الإسلامية الإطار النظري الذي يفهم من خلاله المسلم الأوبئة ويصنفها:** فلاشك أن المسلم الحق يصدر في كل حركاته وسكناته من عقيدته المستقرة بين جوانحه، تلك العقيدة التي يعرض عليها

(١) فيروس كورونا المستجد (كوفيد-١٩) موقع منظمة الصحة العالمية:
https://www.who.int/ar/emergencies/diseases/novel-coronavirus-2019/advice-for-public/q-a-coronaviruses تاريخ الاسترجاع ١٦- ١٢- ٢٠٢١.
فيروس كورونا الجديد (كورونا COVID-19 موقع وزارة الصحة السعودية:
https://www.moh.gov.sa/HealthAwareness/EducationalContent/PublicHealth/Pages/coronа.aspx تاريخ الاسترجاع ١٦- ١٢- ٢٠٢١.

كل ما يعرض له في حياته من أحداث ومسائل، ويقرأ من خلالها المستجدات من الحوادث والمسائل[١]؛ فالمسلم من خلال عقيدته يدرك أن المرض ابتلاء من الله – تعالى –، ولا يقدر علي رفعه وشفائه إلا الله وحده، ومع ذلك يمتثل لأوامر دينه بالتحرز عن الأمراض والبعد عن مصادر العدوى، ولذلك لا يفزع المسلم من الأخطار والأوبئة ولا ييأس من الكوارث والمصائب، بل يرى أن كل ذلك قدر من الله ينبغي التصبر في مواجهته والاستعانة بالله – تعالى – عليه.

٢- **توفر العقيدة الإسلامية الملجأ النفسي الحصين الذي يتحصن به المسلم من عواصف الأحداث وشدائد المحن:** فكثير من المفاهيم العقدية تمثل حصنا لكل مسلم صادق الإيمان، فمثلا مفهوم التوكل على الله – تعالى–، والصبر وعدم اليأس من روح الله، والطمع فيما عند الله، تمثل كما سنرى طوقا النجاة للمسلم من اليأس والقنوط، ودافعا للمزيد من العمل على تخطي المحن والمصاعب، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية مبينا ما يساعد الإنسان على تخطي الصعاب والمحن: "أن يشهد – يعني العبد – أن الله – سبحانه وتعالى – خالق أفعال العباد وحركاتهم وسكناتهم وإراداتهم، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فلا يتحرك في العالم العلوي والسفلي ذرة إلا بإذنه، ومشيئته والعباد آلة، فانظر إلى الذي سلطهم عليك، ولا تنظر إلى فعلهم بك، تستريح من الهم والغم والحزن"[٢]، فلاشك أن اليقين بهذه المعاني يمثل حصنا نفسيا حصينا للمسلم.

٣- **الإجابة الشافية عما يدور في ذهن المسلم من تساؤلات:** تظهر في وقت الأوبئة كثير من التساؤلات حول قدرة الله – تعالى–، ووجود الشر في العالم ومدى أصالته، ورحمة الله – تعالى– بالخلق، ومدى تعارضها مع وجود هذا الشر، والسؤال عن حكمة الله – تعالى– وحدود كل هذه المعاني تجاه الفعل الإنساني، ومدى فاعلية قدرة الإنسان وفعله في الحد من المرض وانتشار الوباء، وغير ذلك من التساؤلات التي تمثل همًّا فكريا يهتم به الإنسان زمن الوباء، ويستغل شياطين الإنس والجن حالة عدم الاتزان التي يعانيها الناس زمن الوباء ويثيرون البحث في هذه الأمور تحت وطأة المرض وشدته وفقدان الأحبة والضيق في المعايش، فتأتي أحكام الناس متأثرة بما سبق، وتجري على ألسنة كثير منهم عبارات الاعتراض على الله – تعالى–، واليأس من رحمته، والتشكك في قدرته، وفي مثل هذه الأحوال لا يجد المسلم إلا مفاهيم العقيدة الصحيحة ليعتصم بها من هول الصدمات، وفواجع المصائب، وسيل الشبهات والتشكيك الذي لا ينتهي، فالعقيدة هي الحصن المعرفي الذي يلجأ إليه المسلم ليؤمن عقله من الشبهات ويخلي باله للتصدي لما يترتب على الوباء من مشاكل، وهو موقن بأن الله – تعالى – هو الفاعل وهو المقدِّر، وألا شيء يفعل بذاته بل بإرادة الله وإقداره له على الفعل، ومن ثم يعمل المسلم بلا كلل وهو على يقين بأن الله – تعالى– مع الصابرين ولا يضيع أجر العاملين.

ومما سبق تتضح صلة العقيدة الإسلامية بالأمراض والأوبئة؛ فالعقيدة تمثل المنظار الذي ينظر به المسلم للأمراض فيصنفها بأنها من أقدار الله التي تقتضي الصبر والشكر، وتمثل كذلك الحصن النفسي الذي يحتمي به العباد من الشدائد، وتمثل حصنا معرفيا يقي المسلم الشكوك والشبهات ووساوس الشياطين، وتدفعه للعمل

(١) عبد السلام رياح، "عقيدة التوحيد وأثرها في إتقان العمل والابداع فيه"، (ط١: بيروت، دار الكتب العلمية بدون سنة النشر)، (ص٣١).

(٢) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي،" قاعدة في الصبر"، تحقيق: محمد بن خليفة بن علي التميمي، (ط. المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ١١٦ السنة ٣٤، (١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م)، (ص٩٤).

ومواجهة المصائب من خلال قوة روحية صلبة تستند على قوة القدير – سبحانه – وحكمته وعلمه وعموم قدرته.

المطلب الثاني: (كوفيد – ١٩) وقضية القدر الإلهي:

قديما ساد اعتقاد بين الناس أن المرض إنما يحصل بتأثير قوى شريرة، متمثلة في الأرواح الخبيثة، أو الشياطين، أو آلهة الشر، ولذلك كانوا يتقربون لهذه القوى الشريرة بأنواع من القرابين لأجل أن ترضى وتكف شرها عن الناس فيرتفع المرض، وحديثا اعتقد كثيرون بقدرتهم على نقل الأمراض، ومحاربة البشرية بأنواع الجراثيم، وكلتا النظرتين خاطئة، وقد خالفهما الإسلام، وقرر أن المرض من قدر الله – تعالى–، وليس لأي كائن القدرة على إيقاع المضار بالبشر إلا بأمر الله قال تعالى: {مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} [الحديد: ٢٢].

وقد أكَّد النبي ﷺ على هذا المعنى في قضية المرض المعدي خصوصا في قوله: "لا عدوى ولا صفر ولا هامة، فقال أعرابي: يا رسول الله، فما بال إبلي، تكون في الرمل كأنها الظباء، فيأتي البعير الأجرب فيدخل بينها فيجربها؟ فقال: فمن أعدى الأول؟"(١)، يقول ابن القيم: "فيه إثبات القدر، ورد الأسباب كلها إلى الفاعل الأول؛ إذ لو كان كل سبب مستندا إلى سبب قبله لا إلى غاية لزم التسلسل في الأسباب، وهو ممتنع؛ فقطع النبي ﷺ التسلسل بقوله: "فمن أعدى الأول"(٢).

وينبني على هذا أن الأوبئة لها أحكام القدر ومقتضياته، ومن ذلك:

١– علم الله المسبق به، فلا يملك أحد أن يغير هذا القدر المكتوب تقديما أو تأخيرا بله رفعه وكشفه، ولهذا فإن اتخاذ الأسباب لا ينبغي أن يكون على جهة اعتقاد إمكانية تغيير القدر، وإنما على اعتقاد أن هذه الأسباب قدر يدفع به قدر المرض، وهكذا سائر الأسباب سواء كانت وقائية أو علاجية؛ فالقدر كائن مهما احتاط الإنسان، قال – تعالى–{قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ، قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا} [الأحزاب: ١٦–١٧].

٢– أن هذا الوباء شاءه الله تعالى وخلقه، فمهما تنوعت الأسباب إلا أن الأمر فيه لله – تعالى– فهو الذي خلقه وأوجده، وهذه النقطة مهمة في نقاش يدور كثيرا حول الأوبئة المستجدة وخاصة (كوفيد–١٩) وطبيعة هذا الوباء، وهل للبشر تدخل فيه؟ وهل هو نوع من الحرب البيولوجية؟ فمهما كان الجواب إلا أنه في الأخير يرجع إلى كون هذا الوباء مخلوقا، ولولا أن الله – تعالى– شاءه وخلقه لما استطاع البشر أن ينشروه – على فرض صحة هذه النظرية–.

(١) أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)"، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، (ط١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.) كتاب الطب، باب لا صفر، وهو داء يأخذ البطن ٧: ١٢٨– حديث رقم (٥٧١٧).

(٢) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية: "إعلام الموقعين عن رب العالمين"، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ – ١٩٩١م)، (٤: ٣٠٢).

٣-الرضا بهذا الوباء باعتبار أنه تقدير من الله – تعالى-، وإن كان تحقيق تمام الرضا بالقضاء صعب على النفس البشرية، فالواجب على الإنسان الصبر على القضاء حتي يبلغ به منزلة الرضا؛ وقد اختلف أهل العلم في تحقيق مسألة الرضا بالقضاء والقدر، وفصل ابن القيم هذه المسألة تفصيلا رائعا[١].

إلا أن هذا الرضا على كل حال لا يعني عدم السعي في مدافعة هذا الوباء بشتى الأسباب الممكنة، فإن الوباء قدر، والعلاج قدر، وقدر الله يدفع بقدر الله، يقول ابن تيمية: "المسلم مأمور أن يفعل ما أمر الله به ويدفع ما نهى الله عنه، وإن كانت أسبابه قد قدرت، فيدفع قدر الله بقدر الله، كما جاء في الحديث الذي رواه الطبراني في كتاب الدعاء عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: "إن الدعاء والبلاء ليلتقيان بين السماء والأرض" وفي الترمذي: قيل: يا رسول الله؟ أرأيت أدوية نتداوى بها ورقى نسترقي بها وتقى نتقيها، هل ترد من قدر الله شيئا؟ فقال: "هن من قدر الله"[٢].

المطلب الثالث: (كوفيد – ١٩) والحكمة الإلهية

من الأصول المهمة عند أهل السنة أن الله – تعالى- لم يقدر شيئا إلا لحكمة، وذلك لعلمه – تعالى- المحيط الشامل، وتنزهه عن المنفعة والمضرة بالأشياء، قد يدرك العباد حكمته – تعالى – إذا أراد هو ذلك؛ وقد تخفي عليهم لطفا بهم، وعلى كل فيجب علي المسلم أن يؤمن بأن فعله – تعالى – لا يكون إلا لحكمة سواء أدركها أم لم يدركها.

وتقدير الأوبئة على الناس لا يخلو من الحكم ومنها:

١- **الحكم الإيمانية** مثل: تكفير السيئات، ورفعة الدرجات، والقرب من الله، وعلامة إرادة الخيرية من الله للعبد، تربية الإنسان وتهذيبه، وكسر الغرور والكبر الذي قد يعتريه، وإشعاره بضعفه وعجزه، مما يعطيه فرصة كبيرة لإعادة النظر والتفكير في أحوال نفسه وعلاقته بربه[٣]، واستخراج لعبوديات ما كان لها أن تظهر لولا الابتلاء والمرض، ومن هذه العبوديات: الصبر والاحتساب، الدعاء والتضرع، انتظار الفرج من الله تعالى والتعلق به وحده سبحانه، قال الزركشي: "وأفضل العبادة انتظار الفرج بفضل الله الذي يحب أن يسأله"[٤]، ودفع الناس إلي ملاحظة النعم وشكر المنعم سبحانه عليها.

٢- **الحكم الاجتماعية**: وأبرزها تهذيب الغرور الإنساني وعقوبة المفسدين في الأرض والجبابرة والطغاة وكلّ من كفر بالله، فالله يعاقب من خالف أمره بأنواع من العقوبات، والأوبئة من جنس هذه العقوبات التي قد ينزلها الله بأهل الكفر والعصيان، أو يبتلي بها المؤمنين الصالحين.

---

(١) أبو عبد الله مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، شمس الدين، ابن قيم الجوزية، "شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل"، تحقيق: عصام فارس الحرستاني، خرج أحاديثه: مُحَمَّد إبراهيم الزغلي، (ط١ بيروت: دار الجيل، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م)، (٢٧٨-٢٧٩).

(٢) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني،" مجموع الفتاوى"، تحقيق: عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن قاسم، (ط المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م)، (٢: ٤٥٨).

(٣) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، "منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية"، تحقيق: مُحَمَّد رشاد سالم، (ط١، المملكة العربية السعودية: جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)، (٣: ١٧٦).

(٤) أبو عبد الله بدر الدين مُحَمَّد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، "المنثور في القواعد الفقهية"، (ط٢، الكويت: وزارة الأوقاف الكويتية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)، (١: ٤٠٩-٤١٠).

وعلى كل حال فالابتلاء بالمرض يهذب ويلين القلوب الغليظة، ويدفعها دفعا إلى الرضا بالله والسعي إليه، ودفع ظلم الظالمين والمفسدين بإهلاكهم أو إمراضهم، وهذا فيه صلاح أحوال الناس، ودوام اجتماعهم على رضا الله وطاعته.

٤- **الحكم الدعوية:** وأبرزها إظهار جوانب عظمة الشريعة الإسلامية، على كافة الأصعدة؛ ففي مجال التشريع تظهر الرحمة واليسر، وفي الجانب العقدي تظهر المواساة التي توفرها المفاهيم العقدية للإنسان، وفي مجال الاعجاز الطبي يظهر سمو وتقدم الاجراءات الاحترازية والمفاهيم العلاجية التي أوصى بها الإسلام.

٧- الحكم **العلمية والحضارية:** فمن المعروف أن أي تقدم بشري إنما كان دافعه التغلب على أزمة ما، أو الاستجابة لتحد ما، فالأمراض والأوبئة تدفع البشرية إلى البحث والعمل من أجل التغلب عليها، وهذا بلا شك بعث على الحضارة والرقي العلمي والتقني، فلولا الأزمة ما تفنن الناس في طرق العلاج والوقاية، وتطوير الأداء الاقتصادي وغيره من الأنشطة الإنسانية، وغير ذلك من أوجه الحكمة في الابتلاء بالأوبئة والأمراض.

المطلب الرابع: (كوفيد – ١٩) وقانون السببية[١]:

من سنة الله تعالى في خلقه أنه جعل لكل شيء في هذا الكون سببا، وجعل حصول الأمور مرتبطا بأسبابها، وقد قرر أهل السنة هذا الأصل، وصححوا من خلاله التكليف، وأثبتوا فاعلية الإنسان، يقول ابن القيم "ولو تتبعنا ما يفيد إثبات الأسباب **من** القرآن والسنة لزاد على عشرة آلاف موضع، ولم نقل ذلك مبالغة بل حقيقة، ويكفي شهادة الحس والعقل والفطر"[٢].

ويتفرع على هذا الأصل السني مجموعة من المسائل ينبغي التأكيد عليها في مواجهة المبتدعة:

١- الأسباب لها تأثير حقيقي، إلا أن هذا التأثير ليس تأثيرا مستقلا عن الله- تعالى-، فلو أراد الله – تعالى- إبطال هذا التأثير لم يعمل السبب[٣].

٢- لا يحصل المسبب بسبب واحد فقط، بل لا بد من وجود أسباب أخرى، ولا بد كذلك من انتفاء الموانع، إلا إذا كان هذا السبب تاما، "وهو الذي يوجد المسبب بوجوده فقط"[٤]، وليس هذا السبب التام في شيء من المخلوقات.

٣- تعليق المسبب على سبب واحد جائز، لكن هذا لا ينفي ضرورة وجود بقية الأسباب وضرورة انتفاء الموانع، فليست الأسباب المادية وحدها هي سبب الأمراض؛ فقد تجتمع مجموعة من الأسباب في حصول المرض؛ وقد بين ابن القيم ذلك في مناقشته أسباب الطاعون[٥].

٤- قد يحصل السبب ولكن لا يحصل المسبب، فالعلاقة بينهما عادية وليست عقلية، ولا يعني هذا ترك الأسباب، وإنما الممنوع الركون للأسباب مع ترك اللجوء إلى الله.

---

(١) السبب لغة: كل ما يتوصل به إلى غيره، وهذا المعنى اللغوي هو نفسه الذي جرى عليه العلماء في التعريف الاصطلاحي، إلا أنه قد يختلف التعريف باختلاف العلوم كما هو الحال في كثير من الاصطلاحات. مجد الدين أبو طاهر مُحَمَّد بن يعقوب الفيروزآبادى، "القاموس المحيط" تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، (ط٨، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م)، ١: ٩٦.

(٢) ابن القيم، "شفاء العليل"، (ص١٨٨، ١٨٩).

(٣) ابن القيم، "شفاء العليل"، (ص٤٨١).

(٤) علي بن مُحَمَّد بن علي الشريف الجرجاني، "التعريفات"، ضبطه وصححه: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م)، (ص١١٧).

(٥) ابن القيم، "زاد المعاد"، (٣٧/٤).

٥- قد يحصل المسبب دون وجود السبب[١]، فالله سبحانه هو الذي خلق السبب وجعله وسيلة لحصول المسبب، فهو سبحانه قادر على خلق المسبب دون وجود السبب، فقد يوجد المرض دون سبب سابق، بل ينشؤه الله من العدم بقدرته.

ومن التطبيقات المهمة على هذه الأصول مسألة حصول العدوي، ويمكن تفصيلها كما يلي:

الذي عليه جمهور العلماء إثبات العدوى، استدلالا بعدد من الأحاديث، ومن أشهرها: حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: "لا يوردن ممرض على مصح"[٢].

وذهب بعض العلماء إلى نفي وجود العدوى، فلا يعدي شيء شيئا ألبتة عندهم، وهذا قول الخطابي والبغوي وابن خزيمة وأبو العباس القرطبي وابن حجر وغيرهم رحمهم الله[٣]، واستدلوا ببعض الأحاديث ومن أشهرها: حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "لا عدوى ولا صفر ولا هامة" فقال أعرابي: يا رسول الله، فما بال إبلي، تكون في الرمل كأنها الظباء، فيأتي البعير الأجرب فيدخل بينها فيجربها؟ فقال: "فمن أعدى الأول؟"[٤].

والرأي الراجح هو رأي الجمهور؛ ذلك أن إثبات العدوى لا يطعن في قدرة الله – تعالى-؛ وإنما إثبات لأمر طبيعي جرت به سنة الله في كونه، وكذلك لا يعني إثبات العدوي وجود تلازم عقلي بينها وبين حصول المرض، فالعدوى لا تعدو كونها سببا اعتاد الناس حصول المرض إذا وجدت، ومن الجائز ألا يحصل المرض مع حصولها؛ إذ كل شيء بأمر الله – تعالى – أولا.

ومما يرجح قول الجمهور أيضا أن العدوى المنفية في الأحاديث ليست هي العدوى التي يتحدث الناس عنها اليوم، فالنبي – ﷺ – قرن نفيها بنفي الطيرة والهامة وصفر، وهذه أمور كان يعتقدها أهل الجاهلية على وجه معين، مما يدل على أن النبي – ﷺ – أراد نفي المعنى الذي كان يعتقده العرب في العدوى، وليس نفي الأسباب الطبيعية في حصول المرض جملة.

ومما سبق يتبين لنا أنه لا مانع من اجتماع أسباب طبيعية لحصول الأمراض، يبحثها أهل الطب[٥]، وأسباب إيمانية غيبية تخبر بها النصوص ويعتقد فيها المؤمنون مثل: الذنوب والمعاص[٦]، ووخز الجن[٧]، وغيرها من الأسباب الإيمانية.

---

(١) عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي: "حاشية القونوي على تفسير الإمام البيضاوي"، ضبطه وصححه وخرج آياته: عبدالله محمود عمر، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م)، (٢: ٣٢٠)

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب لا هامة، ٧: ١٣٨ حديث رقم (٥٧٧١).

(٣) ينظر في الأقوال في المسألة: القاضي عياض، "إكمال المعلم"، (٧: ١٤١)؛ النووي، "شرح صحيح مسلم"، (١٤: ٢١٣-٢١٤)؛ ابن القيم، "زاد المعاد"، (٤: ١٥٢).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب لا صفر، وهو داء يأخذ البطن، ٧: ١٢٨ حديث رقم (٥٧١٧).

(٥) أحمد محمد كنعان، "الموسوعة الطبية الفقهية، موسوعة جامعة للأحكام الفقهية في الصحة والمرض والممارسات الطبية"، (ط١، بيروت: دار النفائس، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م)، (ص٧٠١).

(٦) كحديث البراء بن عازب – في سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني: "الروض الداني (المعجم الصغير)" تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، (ط١، بيروت،: المكتب-الإسلامي، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م)، ٢: ٢١٦ حديث رقم ١٠٥٣؛ وصححه أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم الألباني "صحيح الجامع الصغير وزياداته"، (بيروت: المكتب الإسلامي بدون تاريخ) حديث رقم (١٠٤٥٨).

(٧) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، "مسند الإمام أحمد بن حنبل" تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، (ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م) ٣٢: ٤٨٠

ومما يجدر التنبيه عليه أن هذه الأسباب قد تجتمع، فيكون السبب الظاهر للمرض هو سبب طبيعي، لكن السبب الباطن أو الأساسي لهذا المرض يرجع إلى أحد أسباب المرض الخبرية، وقد يستخدم المريض أدوية لعلاج السبب الطبيعي فلا تفيده هذه الأدوية لأنه لم يعالج السبب الباطن، ومن هنا فإن أنفع العلاج ما شمل النوعين، وقد أشار ابن القيم إلى أن الطب النبوي قام عليهما معا[١].

المبحث الثاني: النظرة العقدية لجائحة (كوفيد – ١٩) والمفاهيم المغلوطة حوله:

سبق مناقشة وباء كرونا في ضوء بعض القضايا العقدية الإسلامية، وتبين أنه لا يوجد تناقض بين حدوث المرض وبين القدر والحكمة الإلهية، وأن حصول المرض خاضع لقانون السببية وتفصيلاته، وأنه لا تعارض بين أسباب المرض الإيمانية الخبرية، وأسبابه الطبية المخبرية، ومع هذا الوضوح إلا أن وساوس شياطين الإنس والجن ربطت وقوع جائحة كورونا بعديد من المشكلات الفكرية، وهذا ما نناقشه فيما يلي:

المطلب الأول: (كوفيد – ١٩) ومعضلة الشر

ارتبطت الأمراض في أذهان البشر وعقولهم بجانب الألم والمشقة والعناء، وأضحت النظرة إليها نظرة سلبية متشائمة، وبالغ كثير من الناس في ذلك؛ حتى عُد المرض بناء على نظرهم شرا محضا، قد يستغله بعض الملاحدة في نفي الوجود الإلهي بناء على غياب أثر العلم والرحمة والقدرة الإلهية علي زعمهم مع وجود الشر والألم والمعاناة[٢]، إلا أن الإسلام قدَّم نظرة مختلفة إلى المرض، فلم يبالغ في ذم المرض والتحذير منه، ولم يعتبره شيئا سيئا للغاية، بل على العكس، نبَّه على عدد من النواحي الإيجابية في المرض، وفي إطار معالجة هذا الوهم – أن المرض شر محض – قدم الإسلام رؤية مختلفة للأمراض والأوبئة فركَّز على الفوائد التي تتحصل من هذا المرض، ويمكن أن نلحظ هذه الرؤية في عدد من التنبيهات الشرعية، ومنها:

– التذكير المستمر بالأجور المترتبة على المرض: فقد جاءت الكثير من الأحاديث التي تبين فضل المرض وما يترتب عليه من ثواب وأجور، وما يكفره المرض من الذنوب والسيئات ومن ذلك:

عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو يوعك، فقلت: يا رسول الله، إنك لتوعك وعكا شديدا؟ قال: "أجل، إني أوعك كما يوعك رجلان منكم" قلت: ذلك أن لك أجرين؟ قال: "أجل، ذلك كذلك، ما من مسلم يصيبه أذى، شوكة فما فوقها، إلا كفر الله بها سيئاته، كما تحط الشجرة ورقها"[٣].

– اعتبار الموت بأنواع من الأمراض أفضل من الموت العادي: فأفضل الميتات هي الشهادة في سبيل الله، وقد جعل الشرع منزلة الشهادة لمن يموت ببعض الأمراض لشدتها وقوة ألمها[٤]، ومن ذلك: الطاعون، وداء البطن

حديث رقم ١٩٧٠٨؛ وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٧٣٩٨. والوخز معناه الطعن، ولا إدراك لنا بحقيقته، بل هو غيب أمرنا بالتسليم به ينظر ابن حجر، "فتح الباري"، (١٠/١٨١- ١٨٢)، وقد اختلف المعاصرون في فهم هذا الوخز، وحاول كثير منهم تفسيره من خلال حمله على المفاهيم الطبية المعاصرة ينظر في ذلك الغزالي، "السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث"، (ص١٢٢).

(١) ابن القيم، "زاد المعاد"، (٤/١١).

(٥) ينظر أبعاد مشكلة الشر دانيال سبيك، "مشكلة الشر"، ترجمة سارة السباعي، (ط١، القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠١٦، (ص١١ وما بعدها).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب المرضى، باب أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، (٧/١١٥)، حديث رقم (٥٦٤٨).

(٤) ابن حجر، "فتح الباري"، (٦: ٤٤).

سواء كان إسهالا أو انتفاخا أو غير ذلك، وذات الجنب وهي قرحة تخرج في جنب الإنسان من الداخل[١]، والمرأة تموت في ولادتها، وقد جاء ذلك في أحاديث منها حديث أبي هريرة[٢]، ومنها حديث جابر بن عتيك[٣] رضي الله عنهما.

وقد وقع الخلاف بين العلماء فيمن يتوفى بهذا الوباء (كوفيد – ١٩) هل يكون شهيدا أم لا؟ ولعل من أفضل ما يقال في هذا ما قاله الحافظ ابن حجر عندما تكلم حول قضية: من أصيب بالطاعون وبقي في بلده صابرا محتسبا هل يكون له أجر الشهيد؟: "ظاهر الحديث يعم، وفضل الله واسع، ونية المؤمن أبلغ من عمله"[٤]، وذلك أن الجزم بكون من يموت بهذا الوباء شهيدا أو غير شهيد يصعب جدا لتكافؤ أدلة الفريقين، لكن رجاء الأجر والثواب له أمر لا يمكن أن يختلف عليه أحد، والأمر لله أولا وآخرا.

– اعتبار المرض علامة على إرادة الله الخير للعبد: فليس المرض دائما عقوبة أو علامة غضب من الله، بل إنه كثيرا ما يكون علامة على إرادة الله تعالى الخير للعبد، فعن إبراهيم بن مهدي السلمي عن أبيه عن جده قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن العبد إذا سبقت له من الله منزلة لم يبلغها بعمله ابتلاه الله في جسده، أو في ماله، أو في ولد، ثم صبره على ذلك حتى يبلغه المنزلة التي سبقت له من الله تعالى"[٥].

– اعتباره مناسبة لتحصيل الأجور: فالإسلام يحول النظر إلى المريض من كونه مشكلة إلى كونه فرصة لاكتساب الأجور العظيمة، وذلك من خلال زيارته ومواساته، فعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "من عاد مريضا، لم يزل في خرفة الجنة حتى يرجع"[٦]، وفي رواية: "قيل يا رسول الله: وما خرفة الجنة؟ قال: "جناها".

فالمرض في نظرة الإسلام أمر فيه خير وشر، ولا بد من اعتبار الأمرين حتى يتحقق التوازن في فهم الأشياء؛ خاصة الأقدار التي تتضمن ألما ووجعا، فإن ألمها قد ينسي الخير الذي فيها، ولهذا جاء التنبيه المتكرر من الشرع على فوائد وإيجابيات المرض حتى لا يغفل عنها المريض في غمرة ألمه، وبذلك يكون الإسلام قد قدم حلا لهذه الوسوسة الموهمة بأن المرض شر محض.

المطلب الثاني: (كوفيد – ١٩) وتضخيم الدور الإنساني في مواجهة القدرة الإلهية

ومن المشاكل العقدية المعاصرة: التضخيم المبالغ لدور البشر في شتى مجالات الحياة، وتصوير إمكانياتهم بصورة تتجاوز الحقيقة، وكأنهم قادرون على التحكم في كل شيء، وهذا المفهوم غريب عن البنية العقدية الإسلامية، فالإنسان المسلم يسلم بمحدودية الإنسان أمام عظمة الله – تعالى–، ويسلم كذلك بعجزه أمام

(١) ينظر: النووي، "شرح صحيح مسلم"، (١٣: ٦٢–٦٣).

(٢) البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب: الشهادة سبع سوى القتل ٤: ٢٤ حديث رقم ٢٨٢٩.

(٣) أخرجه أحمد ٣٩: ١٦٢ حديث رقم (٢٣٧٥٣)؛ وأبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني، "سنن أبي داود"، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (صيدا – بيروت: المكتبة العصرية بدون تاريخ)، كتاب الجنائز، باب في فضل من مات في الطاعون (٣: ١٨٨)، حديث رقم (٣١١١)؛ وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٦٠٥٢).

(٤) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، "بذل الماعون في فضل الطاعون"، تحقيق عصام أحمد الكاتب (الرياض: دار العاصمة بدون تاريخ)، (٢٠١).

(٥) أخرجه أحمد ٣٧: ٢٩ حديث رقم ٢٢٣٣٨؛ وأبو داود، كتاب الجنائز، باب الأمراض المكفرة للذنوب، ٣: ١٨٣حديث رقم ٣٠٩٠؛ وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٢٥٩٩.

(٦) مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري: "المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ (صحيح مسلم)"، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: د.ار إحياء التراث العربي بدون تاريخ) كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل عيادة المريض،٤: ١٩٨٩ حديث رقم ٢٥٦٨.

قدرة الله، واحتياجه الدائم لمعونة الله – تعالى–، فمبني الإسلام يقوم علي الاستسلام لله – تعالى – والرضا به، وهذا المعني ساري في جميع الرسالات الإلهية[١].

ولكن مع وضوح هذا المعني نري من يصرح بأنه لا يتوقع بأن يكون مثل هذا الوباء طبيعيا! وأنه من صنع الإنسان، وأن الإنسان قادر علي مواجهته دون معونة خارجية، وهذا من الخطأ البين، فإنه لولا أمر الله ومشيئته لما أصيب إنسان واحد بشيء، وهذا صريح قول النبي ﷺ: "واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك"[٢].

وقد قرر أهل السنة أن أفعال العباد وإراداتهم مخلوقة لله – تعالى–، ويحصلها الإنسان بقدرته المحدودة، فليس لأحد خلق ولا إرادة شاملة سوي الله – تعالى – نقل الخلال عن الإمام أحمد تقريره لهذا الأصل فقال: "كَانَ يذهب إِلَى أَن أَفعَال الْعباد مخلوقة لله عز وَجل وَلَا يجوز أَن يخرج شَيْء من أفعالهم عَن خلقه لقَوْله عز وَجل: {ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَالِقُ كُلِّ } شَيْءٍ [الأنعام: ١٠٢] ..،[وَرُوِيَ عَن عَليّ ابْن أبي طَالب رَضِي الله عَنهُ أَنه سُئِلَ عن أَعمال الْخلق الَّتِي يستوجبون بهَا من الله السخط وَالرِّضَا فَقَالَ هِيَ من الْعباد فعلا وَمن الله تَعَالَى خلقا لَا تسْأَل عَن هَذَا أحدا بعدِي]... وَدلّ ذَلِك على أَن الْخلق بِهَذِهِ الصّفة لَا يقدرُونَ إِلَّا بِاللَّه وَلَا يصنعون إِلَّا مَا قدره الله تَعَالَى وَقد سمي الْإِنْسَان مستطيعا إِذا كَانَ سليما من الْآفَات"[٣].

فتضخيم دور الإنسان في الكون يناقض المفاهيم الإيمانية، التي تقضي بأن الإنسان خلق من خلق الله خاضع كغيره للقدر الكوني، والسنن التي وضعها لصلاح الكون والحياة، فلا قدرة للإنسان إلا بإقدار الله له؛ فلا قدرة للإنسان على صنع مرض ولا نشره ولا رفعه ولا إزالة آثاره إلا إذا أراد الله وهيأ له أسباب الفعل، ووفقه له، وضمن له صلاح آلة الفعل، وعدم الموانع، وهذه الحقيقة لا تنافي مباشرة الإنسان في الظاهر للأسباب وتعاطيه للفعل؛ فنحن نتحدث عن حقائق الأشياء وليس ما يبدو منها للناظرين، والمطلوب من المسلم أن يعتقد بهذه الحقائق، ويباشر الفعل باسم الله وعلى هدي منه، لا أن يتكبر بما منحه الله من قدرة، وينسي من منحه إياها.

المطلب الثالث:(كوفيد – ١٩) وعقيدة الولاء والبراء[٤]

الولاء للمؤمنين والبراء من الكافرين أمر مقرر في عقيدة السلف وسلوكهم، بل صرح بعض الكُتّاب المعاصرين بأن الولاء والبراء من لوازم كلمة التوحيد.

هذه العقيدة السلفية واجبة الاتباع تلقي بظلالها على تعاطي المسلم مع جائحة كورونا، ذلك أن هذه الجائحة استغرقت العالم شرقا وغربا؛ ومع التقدم التقني والطبي في بلاد غير المسلمين، تمس الحاجة إلى أن

---

(٢) شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية،" الإيمان الأوسط". تحقيق محمود أبو سن، (ط١: الرياض، دار طيبة للنشر، ١٤٢٢هـ)، (١٦٩ – ١٧٠).

(٢) مُحَمَّد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى الترمذي، أبو عيسى، "الجامع الكبير (سنن الترمذي)"، تحقيق: بشار عواد معروف (ط بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨م، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، ٤: ٢٤٨ حديث رقم (٢٥١٦)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وقال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح".

(٤) أبو عبد الله أحمد بن مُحَمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، "العقيدة رواية أبي بكر الخلال"، (ط١ دمشق: دار قتيبة، ١٤٠٨هـ)،١١٣– ١١٤.

(١) الولاء والبراء: تقوم على المحبة والنصرة للمسلم، والعداوة والبغض للكافر وما يتضمنه ذلك، ينظر تفصيل ذلك علي بن نايف الشحود،" مفهوم الولاء والبراء في القرآن والسنة"، (ط١، بدون بيانات دار النشر، ١٤٣٣هـ– ٢٠١٢م)، ٤: ١٣.

يتعلم المسلم منهم سبل الوقاية وتطبيقاتها، وتجارب علماء غير المسلمين في التعاطي مع هذا الوباء وعلاجه، فضلا عن الجوانب الإنسانية التي تترتب على تلك الجائحة من الحزن على موتى غير المسلمين، وتعزية أهليهم، وغير ذلك من الجوانب الإنسانية.

ونبادر إلى القول بأن الحكمة ضالة المؤمن أني وجدها فهو أولى الناس بها؛ فلا داعي لرفض كل ما يأتي من غير المسلمين خاصة إذا لم يناقض عقيدة التوحيد(١).

فما تمس حاجة المسلمين إليه من نقل خبرات أو تدابير أو إرشادات في مواجهة جائحة كورونا يجوز نقله عن غير المسلمين، ولا مخالفة للعقيدة الصحيحة في ذلك.

أما الجوانب الإنسانية ففيها تفريق بين من يعادي المسلمين، ومن يسالمهم، مع التسليم بالقاعدة العامة (الولاء للمؤمنين والبراءة من الكافرين)، فمثلا هل يجوز للمسلم أن يفرح بمصاب الكافرين أم لا؟؛ وللإجابة على هذا السؤال ينبغي التفريق بين (المحاربين والمسالمين) من غير المسلمين:

– أما الكفار المحاربون الذين ألحقوا الأذى بالمسلمين، فمثل هؤلاء يفرح بما يصيبهم كما قال تعالى: {فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ۚ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الأنعام: ٤٥]، قال الطيبي: "لأن في هلاكهم تخليصاً لأهل الأرض من شؤم عقائدهم وإضلالهم، واحتباس الخير النازل من السماء. وذلك نعمة جليلة يجب أن يحمد عليها"(٢).

٢– المسالمون الذين لم يؤذوا المسلمين، وهؤلاء قد أباح الله تعالى برهم والإحسان إليهم، كما قال تعالى: {لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [الممتحنة: ٨]

ومن الإحسان إليهم الشعور بالحزن لما يصيبهم، وعدم الفرح بمصابهم، وهذا كما حزن ﷺ على موت عمه على الكفر، وكان يرجو إسلامه، وكان يدعو الله له، حتى نُهي عن ذلك، ولهذا أجاز بعض الأئمة كالشّافعي وأبي حنيفة في رواية عنه تعزية الكفار بمن يموت من أقاربهم الكفار(٣).

ومن المهم هنا التنبيه على مسألة انفكاك الجهة في قضية الحزن والفرح بما يصيب الكفار، فقد يفرح المسلم بما يصيب الكفار من جهة ويحزن على ما يصيبهم من جهة أخرى، وقد أشار إلى هذا المعنى ابن تيمية فقال في أهل البدع: "ومن وجه آخر إذا نظرت إليهم بعين القدر— والحيرة مستولية عليهم والشيطان مستحوذ عليهم – رحمتهم وترفقت بهم؛ أوتوا ذكاء وما أوتوا ذكاء وأعطوا فهوما وما أعطوا علوما، وأعطوا سمعا وأبصارا وأفئدة {وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} [الأحقاف: ٢٦](٤).

(٣) صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، "شرح أصول الإيمان"، (ط مكتبة المشكاة، بدون بيانات)، (ص١٥٧).

(٢) شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، "فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)" المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب: د. محمد عبد الرحيم سلطان العلماء، (ط١، دبي: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م)، (٦: ٨٨).

(٣) أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، "– المجموع شرح المهذب (مع تكملة السبكي والمطيعي)". (ط بيروت: دار الفكر بدون تاريخ)، (٥: ٣٠٥).

(٤) ابن تيمية، "مجموع الفتاوى"، (٥: ١١٩).

فيمكن للمؤمن أن يحزن على موت الكافر ولو كان محاربا باعتبار أنه نفس كان من الممكن أن تؤمن فتصير عزا للإسلام في الدنيا ويكون مآلها إلى الجنة في الآخرة، وكذلك يجوز الحزن على ذات المصيبة؛ فالنفس تقشعر عند ذكر المصائب والنوازل بغض النظر عمن أصابته، كان سهل بن حنيف، وقيس بن سعد قاعدين بالقادسية، فمروا عليهما بجنازة، فقاما، فقيل لهما: إنها من أهل الأرض، أي: من أهل الذمة، فقالا: إن النبي ﷺ مرت به جنازة فقام، فقيل له: إنها جنازة يهودي، فقال: "أليست نفسا!"[(١)]، يقول الاثيوبي: "يعني أن القيام شرع لكونها نفسًا، لا لكونها مؤمنة، ومعنى القيام لكونها نفسًا أنها حلّ بها الموت الذي هو أمر عظيم، وخَطَر جسيم على الإنسان، فينبغي له أن يقابله بالفزع والرهبة، والخضوع والاستكانة، لا بالغفلة، والذهول، والتكبّر والأَنَفَة، وهذا المعنى لا يخصّ نفس المؤمن، بل يعمّ كل نفس حلّ بها الموت"[(٢)].

بهذا المنهج يمكن مداراة غير المسلمين، وتأليف قلوبهم، وأمن شرهم، واستجلاب خبرتهم وتجاربهم في مواجهة (كوفيد – ١٩)، مع الحفاظ على سلامة العقيدة وصفائها.

المطلب الرابع: تحقيق التوحيد وأثره في مواجهة الجائحة

يخطئ من يظن أن العقيدة الإسلامية مجموعة من المبادئ النظرية مبتورة عن السلوك العملي، ذلك أن العقيدة الإسلامية مجموعة من الاعتقادات ترتبط عضويا بالسلوك والأخلاق الفاضلة "وَالْإِيمَان قَول وَعمل مَعَ اعْتِقَاده بالجنان قَول بِاللِّسَانِ وَعمل بالجوارح والأركان وهما سيان ونظامان وقرينان لَا نفرق بَينهمَا لَا إِيمَان إِلَّا بِعَمَل وَلَا عمل إِلَّا بِإِيمَان"[(٣)]، ولذلك فلا عجب أن نعتبر الأخلاق حلا عقديا لمشكلة ما؛ إذ العقيدة في الإسلام لها نواتجها الأخلاقية والعملية التي لا يمكن فصلها عنها.

والمقصود من تحقيق التوحيد هو تقوية اليقين بأن الله – تعالى – هو الفاعل وحده علي الحقيقة، و هو المصمود إليه في كل نائبة؛ فلا أحد يملك ضرا ولا نفعا من دون إرادته، "فَتَضَمَّنَ هَذَا الْكَلَامُ تَحْقِيقَ التَّوْحِيدِ، أو تَحْقِيقَ قَوْلِهِ {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة: ٥]، فَإِنَّهُ لَوْ قُدِّرَ أَنَّ شَيْئًا مِنَ الْأَسْبَابِ يَكُونُ مُسْتَقِلًّا بِالْمَطْلُوبِ، وَإِنَّمَا يَكُونُ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ وَتَيْسِيرِهِ – لَكَانَ الْوَاجِبُ أَنْ لَا يُرْجَى إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يُتَوَكَّلُ إِلَّا عَلَيْهِ، وَلَا يُسْأَلُ إِلَّا هُوَ، وَلَا يُسْتَغَاثُ إِلَّا بِهِ، وَلَا يُسْتَعَانُ إِلَّا هُوَ، فَلَهُ الْحَمْدُ، وَإِلَيْهِ الْمُشْتَكَى، وَهُوَ الْمُسْتَعَانُ، وَبِهِ الْمُسْتَغَاثُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بالله. فَكَيْفَ وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْأَسْبَابِ مُسْتَقِلًّا بِمَطْلُوبٍ، بَلْ لَا بُدَّ مِنَ انْضِمَامِ أَسْبَابٍ أُخَرَ إِلَيْهِ، وَلَا بُدَّ أَيْضًا مِنْ صَرْفِ الْمَوَانِعِ وَالْمُعَارِضَاتِ عَنْهُ، حَتَّى يَحْصُلَ الْمَقْصُودُ، فَكُلُّ سَبَبٍ فَلَهُ شَرِيكٌ، وَلَهُ ضِدٌّ، فَإِنْ لَمْ يُعَاوِنْه شَرِيكُه، وَلَمْ يَنْصَرِفْ عَنْهُ ضِدُّه – لَمْ تَحْصُلْ مَشِيئَة"[(٤)].

وإذا تحقق العبد بذلك انطلق في الحياة آمن النفس، مطمئن البال، موقنا بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، فواجه المصاعب بقلب واثق مطمئن، وفي ذلك بلا شك رفع للروح المعنوية،

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب من قام لجنازة يهودي، ٢: ٨٥ حديث رقم ١٣١٢؛ ومسلم، كتاب الجنائز، باب القيام للجنازة، (٢: ٦٦١) حديث رقم (٩٦١).

(٢) مُحَمَّد بن علي بن آدم بن موسى الإثيوبي الولَوي، "شرح سنن النسائي". (ط١، دار المعراج الدولية للنشر، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م)، (١٩: ١٠٠-١٠١).

(١) إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل، أبو إبراهيم المزني، "شرح السنة معتقد إسماعيل بن يحيى المزني". المحقق: جمال عزون، (ط١: المملكة العربية السعودية، مكتبة الغرباء الأثرية، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م)، (ص٧٧– ٧٨).

(2) صدر الدين مُحَمَّد بن علاء الدين عليّ بن مُحَمَّد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي،" شرح العقيدة الطحاوية"، تحقيق: أحمد شاكر، (ط١ المملكة العربية السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد ١٤١٨هـ)، (ص٣٥٨).

والعامل النفسي له دور كبير – كما هو معلوم – في شفاء الأمراض، والتغلب على المشكلات، فتحقيق التوحيد له دور كبير في المواجهة الناجحة (لكوفيد – ١٩).

المطلب الخامس: توضيح العلاقة بين الأسباب والمسببات

من عظمة الإسلام أنه راعى التوازن بين الأسباب والمسببات، وربط بين الفعل وأسبابه ونتائجه ربطا لا يخل بالمفهوم السليم لعموم قدرة الله – تعالى – ودوام قيوميته على خلقه، فلا يركن إلي السبب كلية، ويترك خالق الأسباب – سبحانه وتعالى–؛ بل يتخذ السبب وسيله لتحصيل مراد الله فيه؛ فالمؤمن يعلم أن كل ما يصيبه إنما هو بقدر الله – تعالى – فلا يقلق ولا يجزع ولا يهلع، بل يتوجه قلبه إلى الله ثقة واعتمادا وتوكلا، وهو يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فإذا أصابه مرض أو وباء يثق المؤمن ثقة تامة أن الشفاء بيد الله تعالى كما قال إبراهيم عليه السلام: {وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ} [الشعراء: ٨٠]. فالتوكل لا ينافي اتخاذ الأسباب؛ بل إن التوكل لا يكون إلا مع اتخاذ الأسباب، وإلا كان تواكلا منهيا عنه(١).

ومن هنا ندرك أن توضيح العلاقة بين الأسباب والمسببات، وتعميق مفهوم التوكل على الله، له أثره الفعال في تصحيح وجهة الأمة، وشحذ همم أبنائها للتصدي لوباء (كوفيد–١٩)، متوكلين على الله – تعالى – آخذين بالأسباب التي شرعها – سبحانه، فيزول التنافر بين الواجب اتخاذه شرعا (التوكل على الله)، وبين الواجب التزامه طبا (الوقاية والتداوي من المرض بعد الإصابة به)، وهذا – بلا شك – سبيل قوي لمواجهة كافة الابتلاءات والكوارث

المطلب السادس: نشر مفهوم الصبر والاحتساب وأثره الإيجابي في مواجهة الجائحة

المرض هو اختبار من الله تعالى ليظهر مدى صبر العبد على أقدار الله تعالى وأحكامه الكونية، والصبر هو عبادة الضراء، كما أن الشكر عبادة السراء كما قال ﷺ: "إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له"(٢).

وكما أن الصبر عبادة الضراء فهو أيضا وسيلة للتخفيف من آثار المصائب والابتلاءات على النفس، وهو خير عون للإنسان على تجاوز المحن كما قال تعالى:{ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ} [البقرة: ٤٥]، وقد وعد الله تعالى الصابرين على البلاء بأعظم الوعود فقال سبحانه:{وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ} [البقرة: ١٥٥].

وقد جاء التأكيد على أمر الصبر عند الوباء، وأن الإنسان إذا صبر في هذا الوقت كان له الأجر العظيم، فعن عائشة ﵂ قالت: "سألت رسول الله ﷺ عن الطاعون، فأخبرني أنه عذاب يبعثه الله على من يشاء، وأن الله جعله رحمة للمؤمنين، ليس من أحد يقع الطاعون، فيمكث في بلده صابرا محتسبا، يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له، إلا كان له مثل أجر شهيد"(٣).

(١) زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي بن رجب الحنبلي، "جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم"، تحقيق: الدكتور مُحَمَّد الأحمدي أبو النور، (ط٢، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م)، (ص١٢٦٦).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، (٤: ١٧٥)، حديث رقم (٣٤٧٤).

ولاشك أن الصبر المطلوب هو الصبر الإيجابي؛ الصبر مع اتخاذ الأسباب المزيلة للبلاء، والشروع في التداوي، أما الصبر السلبي فهذا منهي عنه، ولا يناقض مفهوم الصبر الإيجابي الأنين والشكوي، ما دام القلب شاكرا لله – تعالى – على امتحانه وابتلائه؛ فلم يأتِ في الأنين أو الشكوى نهي مخصوص، وإنما المحذور في الأنين والشكوى هو التسخط والتضجر والاعتراض على قدر الله تعالى، فمتى كان هذا الأنين والشكوى خاليا من الاعتراض والتسخط والتضجر كان جائزا لا حرج على المسلم فيه، يقول ابن حجر: "الذي يجوز من شكوى المريض ما كان على طريق الطلب من الله، أو على غير طريق التسخط للقدر والتضج"(١).

بهذا الصبر الإيجابي يمكن مواجهة أعتي الأمراض والأوبئة والكوارث، ذلك أنه جمع بين الرضا بالله وبقضائه، واتخاذ الأسباب في إزالته والتغلب عليه.

المطلب السابع: تحقيق الأخوة الإسلامية والإنسانية وأثره الفعال في تنمية التعاون والتكافل في مواجهة الجائحة

اقتضت حكمة الله – تعالى– ألا تؤتى الأمم والشعوب بشر أعظم من الفرقة والاختلاف، والأنانية والجشع وتعاظم الأنا؛ فهذه السلبيات تدمر الأمم والشعوب، وتبعث على التطاحن والتقاتل من أجل بقاء الأقوى، وهذا ما يناقضه الإسلام؛ فقد دعا الإسلام إلي التعارف والتآلف بين البشر على مستويين:

– التعارف والتآلف بين المؤمنين خاصة: وهذا هو المفهوم من الأخوة الإيمانية المشار إليها بقوله – تعالى – {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ }[الحجرات: ١٠]، فتحقيق الأخوة الإيمانية يتحقق بالإصلاح بين المتخاصمين كمثال فقط، ولكن تتسع ميادين تحقيق الأخوة؛ من سد حاجة المحتاج ورفع الظلم عن المظلوم، والسعي في قضاء حاجة العاجز، ومساعدة المحتاجين في قضاء حوائجهم، وسد نقص الغذاء والدواء في المجتمعات المسلمة الفقيرة، كل هذه الصور وغيرها هي ميادين لتحقيق الأخوة الإسلامية.

– التعارف والتآلف بين البشرية جميعا: فاختلاف الألوان واللغات والأجناس والأعراق ليس باعثا على الاختلاف والاحتراب من وجهة نظر الإسلام بل يقرر الإسلام أن اختلاف الألسن واللغات والألوان هو آية من الآيات الدالة على عظمة الله – تعال–، قال سبحانه{وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ } [الروم: ٢٢]، وحدد الإسلام طريقة إدارة هذا الاختلاف، ورسم له هدفا محددا؛ فالتعارف والتآلف هما غرض تعدد الشعوب والقبائل والأمم من وجهة نظر الإسلام؛ وقد عبر القرآن الكريم عن تلك الحقيقة فقال – تعالى– : {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات: ١٣]، ومن ثَمّ ما ينشأ عن التآلف والتعارف من التكامل وتبادل المنافع، والحرص على بقاء الجنس البشري، لا تعارض موازين العقيدة الإسلامية الصحيحة، بل تنسجم معها؛ خاصة إذا أضيف البعد الدعوي وما يترتب عليه من الحرص على هداية الناس جميعا بهدي الإسلام.

ولو ترسخت كل هذه القيم في النفوس لأثمرت تعاونا على البر والتقوى بين الأمم؛ وبدلا من استماتة كل أمة في بقاء أفرادها فقط، دون النظر إلى غيرها، ستتعاون كل الأمم فيما بينها بتبادل الخبرات والمهارات والعلاجات لمواجهة هذا الوباء الخطير، وفي ذلك ما فيه من الخير والبشرى بتفريج هذه الكربة عن البشرية كلها.

(١) ابن حجر، "فتح الباري"، (١٠: ١٢٤).

النتائج والتوصيات

أهم النتائج:

١- تبين من خلال البحث علاقة العقيدة الإسلامية بالأوبئة، وأن هذه العلاقة ترتبط بحاكمية العقيدة الإسلامية على سلوك المسلم ونظرته إلى الكون والحياة.

٢- اعتبر الإسلام الأوبئة والأمراض قدر من أقدار الله – تعالى- المؤلمة، فله ما للأقدار من أحكام، وما يجب علي المسلم تجاه أقدار الله – تعالى- من الصبر الإيجابي، والتسليم لله – تعالى-.

٣- القدر لا يخلو من حكمة وإن غابت عن الأنظار، ولكنها تستخرج بعد معاينة القدر وما ترتب عليه من آثار، وهذا بالضبط ما طبقناه على الابتلاء بالأوبئة والأمراض، فلها بلا شك جوانب إيجابية نافعة لتعديل مسيرة البشرية إلى الأفضل ودينيا حضاريا.

٤- يمزج الإسلام في تكوين شخصية المسلم بين الجانب المادي والجانب الغيبي مزجا جيدا، يمكن المسلم من الاطمئنان لمعونة الله – تعالى- واتخاذ الأسباب المادية، دون تعارض بين الأمرين.

٥- علاج الوساوس المرتبطة بالأوبئة والأمراض يكمن في الفهم الصحيح المستقيم للأمراض، والحكمة منها، وإدراك غايات الإسلام ومقاصده من تقرير العقائد (الولاء والبراء)، وأنها لا تمنع من التعاون بين البشر علي اختلاف مللهم؛ إذا أمن المسلم الميل إلى عقائدهم وعاداتهم المخالفة للعقيدة لإسلامية الصحيحة.

٦- يكمن العلاج المعنوي للأوبئة والأمراض، بتحقيق الأخلاق الإسلامية في الواقع العملي، والسعي الحثيث لتحويل القيم النظرية إلى واقع عملي ملموس.

أهم التوصيات:

من خلال البحث برزت بعض المسائل التي توصي الباحثة بدراستها من الناحية العقدية والشرعية دراسة معمقة نظرا لما يترتب عليها من آثار، وهي:

١- من المقرر عقديا أنه ليس بإمكان البشر أن يبثوا الحياة في الجماد، فلابد من دراسة ضابط الحياة التي يمتنع على البشر إيجادها في الجمادات ويتفرع عن هذه المسألة: معنى تصنيع الفيروسات ومدى حدود قدرة البشر في هذا الجانب.

٢- بيان مدى تأثير توصيات المنظمات الصحية الدولية على الفتوى ومدى اعتبارها في ارتكاب المحظورات.

٣- بيان مدى اعتبار التوكل في ترك التسبب في علاج الأمراض، وحكم من اختار ترك التداوي لقوة توكله حتى لو أدى به ذلك إلى الوفاة أو ضرر بالغ.

٤- بيان أحكام الرقى وعلاقتها بالتداوي الحسي من حيث قوة السببية.

٥- دراسة قضية الأسباب، وأنواعها وأقسامها، وضوابط فهمها والتعامل معها، من خلال معطيات العلم الحديث، فالكثير من قضايا السببية اختلف الفهم فيها بسبب مكتشفات العلم الحديث، ومن ذلك: قضية الأوبئة وأسباب انتشارها، حيث لم تكن أسبابها واضحة لدى المتقدمين حتى تم اكتشاف المخلوقات المجهرية.

هذا، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

قائمة المراجع:

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. "الإيمان الأوسط". تحقيق محمود أبو سن، (ط١: الرياض، دار طيبة للنشر، ١٤٢٢هـ).

ابن تيمية الحراني، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم. "مجموع الفتاوى". تحقيق: عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن قاسم. (ط المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية:، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م).

ابن تيمية الحراني الحنبلي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن مُحَمَّد الدمشقي. "قاعدة في الصبر". تحقيق: مُحَمَّد بن خليفة بن علي التميمي. (ط المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ١١٦ السنة ٣٤، (١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م).

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام. "منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية". تحقيق مُحَمَّد رشاد سالم. (ط١، المملكة العربية السعودية: جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م).

ابن رجب الحنبلي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد. "جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم". تحقيق مُحَمَّد الأحمدي أبو النور. (ط٢، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٤هـ–٢٠٠٤م).

ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، شمس الدين. "شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل". تحقيق عصام فارس الحرستاني، خرج أحاديثه مُحَمَّد إبراهيم الزغلي. (ط١ بيروت: دار الجيل، ١٤١٧هـ–١٩٩٧م).

ابن قيم الجوزية، مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين. "إعلام الموقعين عن رب العالمين". تحقيق: مُحَمَّد عبد السلام إبراهيم. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ –١٩٩١م).

ابن قيم الجوزية، مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين. "زاد المعاد في هدي خير العباد". (ط٢٧، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٥هـ–١٩٩٤م).

ابن منظور، مُحَمَّد بن مكرم الأنصاري الإفريقي،" لسان العرب.". (ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ.).

آل الشيخ، صالح بن عبد العزيز." شرح أصول الإيمان ". (ط مكتبة المشكاة، بدون بيانات)، ١٥٧.

الألباني، أبو عبد الرحمن مُحَمَّد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم "صحيح الجامع الصغير وزياداته". (بيروت: المكتب الإسلامي بدون تاريخ).

البخاري الجعفي، أبو عبدالله مُحَمَّد بن إسماعيل. "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري)". تحقيق مُحَمَّد زهير بن ناصر الناصر. (ط١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ).

الترمذي، مُحَمَّد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى أبو عيسى. "الجامع الكبير (سنن الترمذي)". تحقيق بشار عواد معروف. (ط بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨م.

الجرجاني، علي بن مُحَمَّد بن علي الشريف. "التعريفات". ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م).

الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي، صدر الدين مُحَمَّد بن علاء الدين عليّ بن مُحَمَّد ابن أبي العز. "شرح العقيدة الطحاوية". تحقيق أحمد شاكر. (ط١ المملكة العربية السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد ١٤١٨هـ).

الحنفي، عصام الدين إسماعيل بن مُحَمَّد." حاشية القونوي على تفسير الإمام البيضاوي". ضبطه وصححه وخرج آياته عبد الله محمود عمر. (ط١ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م).

خليفة، أشرف السيوطي. "الأحكام الفقهية المتعلقة بفيروس كرونا – دراسة في النوازل". (ط١، المنصورة – مصر: دار اللؤلؤ ة، ٢٠٢١م).

د.ف. م بريت. "رحلة الإنسان مع الفيروس فصول من المعرفة". ترجمة سعد الدين عبد الغفار، تقديم أشرف مختار، (ط١ القاهرة: وكالة الصحافة العربية، ٢٠١٩م).

رياح، عبد السلام. "عقيدة التوحيد وأثرها في إتقان العمل والابداع فيه". (ط١: بيروت، دار الكتب العلمية بدون سنة النشر).

الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين مُحَمَّد بن عبد الله بن بهادر. "المنثور في القواعد الفقهية". (ط٢، الكويت: وزارة الأوقاف الكويتية، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م).

سبيك، دانيال. "مشكلة الشر"، ترجمة سارة السباعي، (ط١، القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠١٦).

السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق. "سنن أبي داود"، تحقيق: مُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد.(صيدا – بيروت: المكتبة العصرية بدون تاريخ).

سلاك، بوك. "الطاعون مقدمة قصيرة جدا". ترجمة مُحَمَّد زياد كبة، مراجعة خالد المصري، (ط١: أبو ظبي، دائرة الثقافة والسياحة مشروع كلمة).

الشحود، علي بن نايف. "مفهوم الولاء والبراء في القرآن والسنة". (ط١، بدون بيانات دار النشر، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م).

الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن مُحَمَّد بن حنبل. "مسند الإمام أحمد بن حنبل" تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون – إشراف د عبد الله بن عبد المحسن التركي، (ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م).

الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن مُحَمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد. "العقيدة رواية أبي بكر الخلال"، (ط١ دمشق: دار قتيبة، ١٤٠٨هـ).

الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم. "الروض الداني (المعجم الصغير)". تحقيق مُحَمَّد شكور محمود الحاج أمرير. (ط١، بيروت،: المكتب – الإسلامي،١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م).

الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله." فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)". المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب مُحَمَّد عبد الرحيم سلطان العلماء. (ط١، دبي: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م).

العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر. "بذل الماعون في فضل الطاعون". تحقيق عصام أحمد الكاتب (الرياض: دار العاصمة بدون تاريخ).

العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل "فتح الباري شرح صحيح البخاري" تصحيح محب الدين الخطيب، وعليه تعليقات العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز. (ط بيروت: دار المعرفة –، ١٣٧٩هـ).

الفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر مُحَمَّد بن يعقوب. "القاموس المحيط،" تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة. (ط٨، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م).

القشيري النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن. "المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ (صحيح مسلم)". تحقيق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي. (بيروت: د.ار إحياء التراث العربي بدون تاريخ).

كنعان، أحمد مُحَمَّد. "الموسوعة الطبية الفقهية، موسوعة جامعة للأحكام الفقهية في الصحة والمرض والممارسات الطبية". (ط١، بيروت: دار النفائس، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م).

المزني، إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل، أبو إبراهيم. "شرح السنة معتقد إسماعيل بن يحيى المزني". المحقق: جمال عزون.

النووي أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف. "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج"، (ط٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ).

النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف."- المجموع شرح المهذب (مع تكملة السبكي والمطيعي)، ". (ط بيروت: دار الفكر بدون تاريخ).

الولوي، مُحَمَّد بن علي بن آدم بن موسى الإثيوبي. "شرح سنن النسائي". (ط١، دار المعراج الدولية للنشر، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م).

ووكر، ريتشارد. "الأوبئة والطاعون". (ط١ بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠٠٧م).

اليحصبي، عياض "إكمال المعلم بفوائد مسلم" تحقيق: يحيى إسماعيل. (ط١، مصر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م).

المواقع الإلكترونية:

فيروس كورونا المستجد (كوفيد-١٩) موقع منظمة الصحة العالمية:
https://www.who.int/ar/emergencies/diseases/novel-coronavirus-2019/advice-for-public/q-a-coronaviruses -١٢-١٦ تاريخ الاسترجاع ٢٠٢١.

فيروس كورونا الجديد (كورونا COVID-19 موقع وزارة الصحة السعودية:
https://www.moh.gov.sa/HealthAwareness/EducationalContent/PublicHealth/Pages/corona.aspx تاريخ الاسترجاع ١٦-١٢-٢٠٢١.